الصراع الإسباني – العثماني على تونس في القرن السادس عشر

م.م. رندة محسن علي عبد
جامعة سامراء/ كلية التربية للعلوم الإنسانية
Randa.Mohsen@uosamarra.edu.iq

الملخص:

يعود جوهر النزاع الإسباني العثماني حول الأهمية الاستراتيجية لتونس، والذي شهد تبادل السيطرة على البلاد بين الجانبين عدة مرات، إلى عجز الدولة الحفصية عن الدفاع عن تونس ومواجهة النوايا الخارجية، فضلًا عن اعتمادها على إسبانيا. وكان من المعتاد أن تسعى الدولة العثمانية إلى الاستيلاء على تونس، مما أثار غضب الإسبان. فقد عدّ ملك إسبانيا سقوط تونس في يد العثمانيين تهديدًا لصقلية ونابولي ومالطا وطرابلس (التي كانت آنذاك تحت سيطرة فرسان مالطا)، وبالتالي، فإن البحر الأبيض المتوسط سيتأثر سلبًا بهذا السقوط. استغل الإسبان وجودهم في الجزء الشرقي من الساحل التونسي عقب حملة شارل الخامس الصليبية عام 1535، مما أجبر خير الدين على التخلي عن منصبه في الجزائر لصالح منصب جديد عام 1538. وإدراكًا لأهمية موقع تونس، عزز أولوتش علي باشا دفاعاتها قبل رحيله، تاركًا وراءه جيشًا قوامه خمسة آلاف رجل مُنظمين في عدة كتائب تُعرف باسم "أوجاك"، يقود كل منها "أوجاك باشا". نجح سنان باشا في تطويق الحاميات الإسبانية حتى استسلمت أخيرًا للجيش العثماني. وأمر الأمير محمد الحفصي بالتوجه إلى إسطنبول، مما أدى إلى نهاية الدولة الحفصية في تونس بعد حكمها للبلاد لأكثر من 300 عام.

الكلمات المفتاحية: العثمانيين، تونس، الحفصي، الإسبان، الدايات، الحياة الاقتصادية، الحياة الاجتماعية.

Al Malweah
for Archaeological
and Historical Studies

Vol 13, Issue 43, Feb 2026
P-ISSN: 2413-1326
E-ISSN: 2708-602X

The Spanish-Ottoman Conflict over Tunisia in the Sixteenth Century

Asst. Lect. Randa Mohsen Ali Abd
University of Samarra / College of Education for Human Sciences

Abstract:

The nature of the Spanish-Ottoman conflict over Tunisia's strategic location, which the two sides occupied repeatedly, was due to the weakness of the hafsid state, its inability to defend the country and confront foreign ambitions, and its reliance on the Spanish. It was natural for the Ottoman state to annex Tunisia to its possessions. This sparked a wave of anger among Spanish foreigners, as the Spanish king believed that the fall of Tunisia to the Ottomans threatened Sicily, Naples, Malta, and Tripoli, which was under the control of the Knights of Malta. It also harmed their commercial interests in the Mediterranean, as trade there would be under Ottoman control. The Spanish exploited the opportunity of their presence on the eastern Tunisian coast following the campaign of Charles V in 1535 AD, which led to Khair ad-Din's retreat to his positions in Algeria. Given the importance of Tunisia's location, Alj Ali worked to strengthen its defenses before leaving it, leaving an army of five thousand men distributed among several battalions called "Ojak" (ojak-e-jak), all of which were ruled by a commander named "Ojak Pasha." Sinan Pasha succeeded in tightening the noose around the Spanish garrisons. Until it surrendered to the Ottoman army, Prince Muhammad al-Hafsi was arrested and sent to Istanbul, and thus the page of Hafsid rule in Tunisia was turned after they had ruled the country for nearly three hundred and fifty years.

Keywords: Ottomans, Tunisia, Hafsids, Spaniards, Deys, Economic Life, Social Life.

المقدمة:

تركز الصراع الإسباني والعثماني منذ القرن السادس عشر على الشمال الإفريقي عامة، وتونس خاصة، ولاسيما بعد ضم الجزائر الي الدولة العثمانية التي أصبح حكامها ينفذون سياسة الدولة العثمانية في الشمال الافريقي بعدّها أصبحت ولاية عثمانية، فقد امتد هذا الصراع الذي يعدّ امتدادًا للحروب الصليبية للبحر المتوسط ؛ لأهميته في التجارة العالمية ،إذ اتجهت أنظار اسبانيا الى تونس مستغلة حالة التفكك والضعف التي اصابتها محاولة السيطرة عليها؛ لضمان امن شواطئها ومواصلاتها البحرية ،إذ كانت ترى أن سقوط تونس بيد العثمانيين من شأنه أن يهدد ممتلكاتهم في صقليه ونابولي ومالطا، وكانت تهدف الى عزل تونس عن باقي الدول الافريقية والاوروبية بهدف خنقها اقتصاديًا وخلق فوضى اجتماعية بهدف السيطرة عليها؛ لتتمكن من السيطرة عليها، لكنها فوجئت بأهداف الدولة العثمانية التوسعية التي سعت لضم تونس الى ممتلكاتها؛ لاستكمال سياستها الرامية في توحيد الشمال الافريقي، تحت سلطة الدولة العثمانية، ولترسيخ وجودها في الشمال الافريقي، وقد شجعها على ذلك لجوء احد المطالبين بعرش الحفصين اليها لاستعادة عرشه، اما على صعيد تونس فكانت تعاني من ضعف الدولة الحفصية نتيجة للصراع بين الامراء الحفصيين على العرش، واستنجد بعضهم بالأتراك والبعض الاخر بالإسبان، وقد أتاح المجال لكلا الطرفين لاتخاذها ذريعة؛ لتثبيت أقدامهم في المنطقة، الامر الذي ادى الى دخول البلاد في صراع اسبانيا عثماني استمر ما يقرب من أربعين سنة دمرت فيها البلاد وساد الفوضى وانهيار المجتمع، فوجد التونسيون انفسهم تائهين بين القوى المتصارعة على تونس، إلى أن تمكنت الدولة العثمانية من تحرير تونس وضمها إلي ممتلكاتها في عام 1574م.

أولًا: لمحة جغرافية عن تونس

تقع تونس في المنطقة الوسطى من الشمال الأفريقي بين البحر المتوسط في الشمال والشرق(السيد، 2000، ص93) وهي أصغر بلدان شمال أفريقيا مساحة اقلها جبالًا، وأكثرها تنوعًا من حيث اديم الاراضي واختلاف الجو، وتكون مع الجزائر والمغرب وما يسمون بدول المغرب العربي، تحدها الجزائر غربًا وليبيا من الجنوب الشرقي، أما في الشمال والشرق فيحدها البحر المتوسط، إذ تمد بعض الجزر التابعة لها وأهمها: (جربه ، كركتة)، ويقترب شمال شرق تونس من جزيرة صقلية مكونًا مضيق صقلية– تونس، الذي يعدّ الحد الفاصل بين حوض البحر المتوسط الشرقي والغربي(عبد، 1998–1999، ص7).

ثانيًا: نظرة في تاريخ تونس

كانت تونس مقرًا للولاء العربي في المغرب، وأدت دورًا بارزًا خلال حكم الأغالبة والعبيدين، والحفصيين(الجميعي، 2007، ص53)، خضعت تونس لحكم الدولة الحفصية منذ عام 1288م، وهي دولة تابعة للحكومة المصرية. ومع مرور الوقت، تفاقمت الفوضى في تونس، وازداد ضعف البلاد وتشرذمها، ولاسيما بعد وفاة محمد بن الحسن الحفصي عام 1493م، وأصبحت العديد من المدن الأخرى عصية على سيطرته. وبعد وفاته، تنازع العثمانيون والإسبان على الحكم، وانتهى الأمر بالإسبان بالسيطرة على بعض موانئ البلاد، وبعد أن دخلت الجزائر في حوزة العثمانيين كان من الضروري أن تكون واجهة الأسطول العثماني الى تونس لتكون قاعدة عمليات اضافية للعثمانيين، ولاسيما أن الامبراطور الاسباني "شارل الخامس "كان قد تحالف مع فرسان القديس يوحنا في مالطا طرابلس ضد المسلمين، ونتيجة لذلك رأى السلطان سليمان القانوني أنه لأجل تأمين قواعد قواته في البحر المتوسط وترسيخ وجودها في الجزائر لابد من السيطرة على تونس(بيات، 2007، ص 576).

ثالثًا: مراحل السيطرة العثمانية على تونس

حينما ظهر العثمانيون للمرة الأولى في المنطقة، كان السلطان حسن الحفصي حاكمًا على التوني عام 1562 ويُعرف هذا السلطان بقتله جميع إخوته، باستثناء رشيد وعبد المؤمن، اللذين لجآ إلى قبيلة عربية واختبآ فيها. كان السلطان حسن الحفصي مُدمنًا على الخمر، واشتهر بسوء سلوكه وظلمه وخيانته. ونتيجة لذلك، كرهه عامة الناس وحاولوا التخلص منه. إذ أرسلوا رسالةً إلى أخيه رشيد يطلبون منه تولي السلطة، لكن حسن الحفصي ردّ عليهم سرًا بعد أن علم بنواياهم. وحاول إيصال رسالة إلى القبيلة التي ستأوي أخاه، يطلب منهم الاستسلام. فنقلت القبيلة رشيد إلى الجزائر، حيث وفر له خير الدين بربروسة المأوى (بيات، 2007، ص577)، وحينما علم حسن الحفصي باحتماء أخيه في الجزائر، أرسل وفدًا إلى السلطان العثماني سليمان القانوني، متهمًا خير الدين بإيواء أخيه، ومطالبًا بالسماح له بزيارته. وطلب من السلطان إعادة شقيقه الرشيد. فشرع السلطان في التحقيق واستدعى الرشيد وخير الدين باشا إلى إسطنبول. ويبدو أن الحكومة العثمانية دعمت الرشيد، فعند وصوله إلى مركز الدولة، منحته راتبًا ووفرت له جميع احتياجاته. ورأوا فيه الشخص المناسب لقيادة حكومة تونس، وعلى غرار خير الدين، أدرك السلطان ضرورة الاستيلاء على تونس، وتحديدًا وادي حلقة، لتكون قاعدة للأسطول العثماني لغزو الأندلس لاحقًا. (بيات، 2007، ص577) هنا، تعارضت أهداف العثمانيين مع أهداف الإسبان، الذين كانوا مهتمين بالمناطق الشمالية من أفريقيا، واستغلوا الانقسام الذي عانت منه تلك المناطق. وسعوا إلى تنظيم شمال أفريقيا، وتحديدًا فيما يتعلق بتقسيم تلك المنطقة بين القوى المتنافسة فيها، (عبد، 1998-1999، ص51)، أما السلطان العثماني فكان يرى أن فتح تونس يضمن أمن مصر وحمايتها من

الأخطار المحدقة بها من جهة، وفرض السيطرة العثمانية على السواحل الشمالية لإفريقيا من جهة اخرى، اما الملك الاسباني فكان يرى أن سقوط تونس بيد العثمانيين من شأنه أن يهدد صقلية، ونابولي، ومالطا، وكذلك طرابلس الغرب التي كانت بيد فرسان مالطا، ويضر بمصالحهم التجارية في البحر المتوسط؛ لأن التجارة فيه ستكون تحت هيمنة العثمانيين (بيات، 2007، ص577). وبعد أن هيأ السلطان سليمان القانوني لذلك الأمر استدعى خير الدين باشا إليه في إستانبول عام 1533م، وعهد إليه بإعداد العدة لفتح تونس واسترجاعها من أيدي الإسبان وتحويلها إلى ولاية عثمانية قبل أن يسبقه شارل الخامس في الاستيلاء عليها(الجميعي، 2007، ص53)، وكلفه بإنشاء السفن الكافية والاستعداد لفتح تونس فامتثل خير الدين وعمل طيلة فصل الشتاء ببناء السفن والأزمة، وفي صيف 1534م سار خير الدين نحو الجنوب عبر مضيق الدردنيل بثمانين سفينة وثمانية آلاف جندي متجها نحو مالطا وجنوب ايطاليا لمنازلة الأساطيل الإسبانية المتمركزة هناك ليوهم الأعداد عن هدفه الاساس في تونس(شاكر، 2000، ص514-515)، ثم سافر إلى تونس ووصل إلى بنزرت عام 1534م، حيث استقبله السكان المحليون بحفاوة. ومن بنزرت، سلك الأسطول العثماني الطريق إلى منطقة وادي الزقاق، ودخلت قوات خير الدين العاصمة تونس، ومنها تقدمت نحو ساحل المغرب العربي. وكان الحسن الحفصي قد فرّ من المدينة، باحثًا عن ملجأ في صحراء العرب. وعلى إثر ذلك، أعلن خير الدين نهاية حكم الحفصيين، وأعلن أن تونس ستخضع لحكم الدولة العثمانية، وأنه سيكون ممثل السلطان العثماني، وسيطالب بطاعته. وقد غيّر هذا الوضع موازين القوى، وزاد من حدة الصراع العسكري بين العثمانيين والإسبان، الذين كانوا يدركون أهمية الجيش في تونس، وسيطرته على موانئ البحر الأبيض المتوسط، وموقعه الاستراتيجي بين الجزائر وطرابلس، وارتباطه بإيطاليا، وحدوده مع مالطا. ومع ذلك، لم يكن نظام خير الدين مضمونًا تمامًا. وسرعان ما واجه العديد من المشاكل بين التونسيين الذين رفضوا قبوله؛ بسبب الإصلاحات الجديدة التي نفذها. (الجميعي، 2007، ص53). والحقيقة أن خلاف أهالي تونس مع خير الدين كان بسبب عدم استقدام الرشيد معه ليتولى حكم تونس خلفا للحسن الحفصي، وعندما أخذوا بالتمرد بوجه خير الدين ومحاربته (بيات، 2007، ص578)، لأجل حفظ النظام والأمن وزع قواته في أنحاء البلاد كافة، في حين كان خير الدين يوطد سلطانه في تونس لجأ الحسن الحفصي الى (شارل الخامس 1500-1556) ملك إسبانيا طالبًا العون ضد خير الدين والعثمانيين (الجميعي، 2007، ص53).

رابعًا: تعاون الحسن الحفصي مع الإسبان

استجاب الملك كارلوس الخامس ملك إسبانيا لطلب الدعم بشأن الحسن الحفصي (أحمد، 1317، ص 737)، وكلف جنوده بوضع خطط للاستيلاء على زمام السلطة في تونس والسيطرة على حركة

الملاحة البحرية في البحر الأبيض المتوسط (عبد المنعم الجميعي، 2007، ص 53). وفي أوائل شهر يونيو، انطلقت حملة بحرية واسعة النطاق، قوامها 400 سفينة و28000 جندي، من برشلونة (العقاد، 1953، ص 22). رست السفن في حلق الوادي، وبدأت سفنها بقصف القلعة بالمدفعية. واستولت على تونس، إذ كانت القوات الإسبانية وقوات الحسن الحفصي تتعاون. ويبدو أن خير الدين أدرك أنه إذا تمسك بموقعه في المدينة نفسها، فلن يكون لديه القدرة على مقاومة الغزو الإسباني. ونتيجةً لذلك، قرر الخروج من أسوار المدينة لمواجهة الغزاة الإسبان، تاركًا حاكم المدينة، جعفر آغا (الذي اعتنق الإسلام)، للإشراف على المعركة. إلا أن جعفر آغا نكث بعهده، معترفًا بأن اعتناقه الإسلام لم يكن دقيقًا. فأطلق سراح الأسرى الأوروبيين في المدينة، واستولى على القلعة، وأغلق أبواب المدينة، ثم أطلق النار على مدافع المسلمين. وأمام هذا الموقف، قرر خير الدين التخلي عن الهجوم والتوجه برًا إلى عنبة. ثم استولى شارل الخامس على تونس.(بيات، 2007، ص578). إلا أن خير الدين باشا تمكن في عام 1538م من الانتصار على أسطول الاسباني بقيادة "أندريا دوريا "في بريفيزا، مما جعله يسيطر تمامًا على البحر المتوسط(اينالجيك، 2002، ص59). وبعد أن دخل الحسن الحفصي مدينة تونس أباح البلاد بعمليات السلب والنهب والانتقام لمدة ثلاثة أيام، وعقب ذلك، وقع الحسن الحفصي مع شارل الخامس(معاهدة أوت 1535) تخلى فيها عن حلق الوادي، وقرطاجنه، وبنزرت، والمهدية للإسبان، ومنحهم حق الاقامة، وبذلك أصبحت المدن التونسية تحت السيادة الإسبانية المطلقة(الجميعي، 2007، ص54).

خامسًا: أوضاع تونس بعد الاحتلال الاسباني الأول

استغل الإسبان الفرصة للانتصاب والتمركز بالسواحل الشرقية التونسية على اثر حملة شارل الخامس عام 1535م ، والتي ترجع على اثرها خير الدين الى مواقع بالجزائر، واستعاد الحفصيون حكمهم لكن تحت الحماية الإسبانية، أبرمت معاهدة اوت 1535 التي حولت البلاد إلى شبه مستعمرة اسبانية، احتفظ الحفصيون فيها بسلطة شبه شرفية وسلمت حلق الوادي للإسبان ومنعت الموانئ عن القراصنة العثمانيين، وأعطيت الامتيازات الى الإسبان في مجال التجارة، وأصبح الحسن الحفصي رمزًا للخيانة لدى الأهالي، ولاسيما بعد أن أباح للإسبان مدينة تونس، لكن الحماية الإسبانية لم تمكن السلطان الحفصي من توسيع نفوذه إلى داخل البلاد وبقيت "القوة الشابية "(الشابي، 1982، ص25). المعارضة متنفذة في القيروان، فطردت الحماية الإسبانية في المدينة عام 1538م وفشلت المحاولة الحفصية لاسترجاع المدينة عام 1542م(الأرقش وأخرون، 2003، ص53). ازداد عداء سكان تونس وحقدهم تجاه حسن الحفصي، وانتهزوا كل فرصة للتخلص منه. بل إنهم شنوا حملة لعزله، مستغلين غيابه عن المدينة، فخلعوه ونصبوا ابنه حامد سلطانًا (بيات، 2007، ص 578). ولما علم حسن بذلك، سافر إلى إسبانيا مرة أخرى طلبًا للمساعدة، وهناك التقى ابنه برفقة 60 ألف إسباني. إلا أن مجموعة

من شيوخ البدو وسكان المدينة تعاونوا معًا وهزموا الإسبان، وأسروا السلطان حسن الحفصي، وأصابوه بالعمى. ثم ساعدوا ابنه الذي نال استقلاله عام 1543م. وسار السلطان حامد على خطى والده، إذ انغمس في ملذات الدنيا وأهمل شؤون الحكم. تولى إدارة شؤون السلطنة لمدة خمسة وعشرين عامًا. وفي نهاية المطاف، نبذه الشعب وتحالف مع علي باشا، أمير أمراء الجزائر (أفندي، 2015، ص 533). وعلى الرغم من جهود التونسيين لكسب ودّ الإسبان، ظلّ الإسبان مسيطرين على المنطقة. ودام هذا الوضع حتى عام 1551م، حينما استولى العثمانيون على طرابلس، مما أدى إلى تحوّل موازين القوى لصالحهم وتوسيع نفوذهم في معظم أنحاء تونس. (بيات، 2007 ،ص578) .

سادسًا: علج علي ودوره في إنهاء الحكم الحفصي

عندما انتزعت الدولة العثمانية ميناء طرابلس من يد فرسان القديس يوحنا عام 1551، اتخذتها قاعدة ثابتة ،ومن هذه القاعدة استطاع دارغوث باشا أن يحتل ميناء قفصه في عام 1556م، وأن يتوغل في الداخل حتى القيروان التي احتلتها وأقام فيها حامية عام 1558، لكن الاسبان بمعونة الحفصيين ظلوا يسيطرون على شمال تونس (العقاد، 1953، ص53). استمرت الأحوال في تونس كما هي حتى تولى علج علي باشا أريكة الحكم في الجزائر(الجميعي، 2007، ص 54). ففي تلك الاثناء كان الخلاف بين السلطان حميد الحفصي ووزيره أبي الطيب الخضار قد بلغ أشده، فاتصل الوزير بالعلج علي والي الجزائر وحرضه على احتلال تونس (الجمل، 1977، ص107). أُبلغ ألك علي أن الإسبان يخططون لحملة بقيادة دون خوان دي تريومف للقضاء على الوجود العثماني في المنطقة. وسعى السكان المحليون إلى مساعدته، إذ كانوا يرونه منقذهم. فقرر السفر إلى تونس قبل وصول الإسبان. شنّ حملة في تونس والتقى بقوات السلطان في باجا عام 1569. بعد معركة ضارية، هُزم حامد في النهاية واضطر للفرار إلى تونس. ولدى وصوله، صُدم عندما وجد أن الأبواب قد أُغلقت في وجهه. فلجأ إلى الإسبان طلبًا للحماية. لاحقًا، قاد ألك علي باشا الجيش العثماني في شوارع تونس دون مقاومة تُذكر، وخضعت له المدن الداخلية والمجتمعات الساحلية(بيات، 2007، ص579). وأخذ البيعة للسلطان العثماني سليم الثاني (الجميعي، 2007، ص54). نظرًا للأهمية الاستراتيجية لتونس، سعى علي باشا إلى تعزيز دفاعاتها قبل مغادرته. كان لديه جيش قوامه 5000 رجل، موزعين على عدة كتائب تُعرف باسم "أوجاك" (أو "أوجاك باشا")، يقود كلًا منها قائد عسكري. عُيّن قائد الجيش رمضان واليًا على تونس. ثم غادر علي باشا إلى الجزائر عام 1570 (الجميعي، 2007، ص55). وبعد بضعة أشهر، أعدّ وجهاء تونس عريضةً أرسلوها إلى إسطنبول، طالبين فيها الاعتراف بتونس ولايةً وتعيين القائد رمضان واليًا عليها؛ تقديرًا لخدمته المتميزة لمدينة تونس. إلا أن السلطان رفض الطلب، وأصدر أوامر من المجلس الإمبراطوري

تنص على ضم تونس إلى أراضي الجزائر، تحت حكم علي باشا، وأن رمضان سيشرف على إدارة الإقليم نيابة عنه بصفته سنجق (حاكم منطقة) (بيات، 2007، ص580).

سابعًا: الاحتلال الاسباني الثاني وحملة سنان باشا

عندما لجا السلطان حميد الحفصي إلى الاسبان مستنجدًا بهم، أعد الملك فيليب الثاني عام 1556-1598م ، قوة كبيرة لمواجهة تونس، على أن يقتسم مع حميد الحفصي حكم البلاد، لكن حميدًا لم يقر للإسبان على هذا العرض فلجأ إلى صقلية عام 1572م، وأقام بها غير أن أخيه(محمد بن الحسن) قبل بشروط الإسبان (الجمل، 1977، ص107). وكان الملك الإسباني فيليب الثاني يستهدف من حملته طرد العثمانيين من إفريقيا وتدمير كل القواعد التي أقاموا فيها، انطلق الأميرال (دون جوان) في17 ايلول1573م، على رأس أسطول كبير مع قوة عسكرية كبيرة متجهة إلى تونس وأنزل جنوده على غولت، وتمكن من احتلال تونس دون مقاومة، بعد أن انسحبت القوات العثمانية منها إلى القيروان منتظرة تعزيزات عسكرية من الدولة، وعهد(دون جوان) بتونس الى محمد بن الحسن، ووضع في المدينة ثمانية آلاف من الجنود الإسبان لحمايتها(بيات، 2007، ص580). وفي14أيار1574م، خرجت قوة عثمانية كبيرة من القسطنطينية على رأسها سنان باشا الوزير العثماني، فضلًا عن قوة بحرية من نحو ألف سفينة بقيادة العلج علي، وكان قد أصبح قائدًا للأسطول العثماني، فعمد على تقويته وتسليحه بأحدث الأسلحة في عصره، وخرجت حاميات عثمانية هي: طرابلس، والجزائر، والقيروان، و حاصر العثمانيون حلق الوادي –مركز الاسبان – برًا وبحرًا، فاضطر الإسبان والأمير الحفصي المولى الموالي لهم إلى الهروب والالتجاء للحصون ، فلحق بهم الجيش العثماني، وتمكن سنان باشا من تضيق الخناق على الحاميات الاسبانية حتى استسلمت للجيش العثماني، وقبض على الامير محمد الحفصي وارسله الى إستانبول، وانطوت بذلك صفحة حكم الحفصيين في تونس بعد أن حكموا البلاد ما يقرب من ثلاثمئة وخمسين عامًا(الجمل، 1977، ص108). وقبل أن يغادر سنان باشا تونس عمل على تنظيم شؤونها، وكان أهم تنظيماته توفير قاعدة عسكرية تتمركز بها ، فترك فيها اربعة آلاف من الانكشارية ممن كانوا برفقته لحماية البلاد بعد أن نظم سنان باشا تونس غادرها الى إستانبول وابقى حيدر باشا في إدارة الإيالة، ومنذ ذلك التاريخ تتابع على حكم تونس علم من البايات، كان أشهرهم: عثمان باي، ويوسف باي(الجميعي، 2007، ص55).

ثامنًا: مظاهر الحياة الاقتصادية في تونس خلال العهد العثماني

اتسمت الحياة الاقتصادية في تونس بجهود مواطنيها في الزراعة والصناعة والتجارة. وبشكل عام، كان الاقتصاد التونسي ذا توجه زراعي في المقام الأول، ويعود ذلك أساسًا إلى مناخ البلاد وتربتها

الخصبة. وارتبطت الزراعة في تونس ارتباطًا وثيقًا بملكية الأرض وتقسيم العمل. فكان هناك ملاك أراضٍ خاصون يمتلكون أراضي حول المدن، وأراضٍ انتُزعت من القبائل ووُهبت لكبار المسؤولين، وأراضٍ خاصة بالقبائل استعملتها للزراعة والرعي (الجميعي، 2007، ص 59). وكانت الحبوب والفواكه والخضراوات أهم منتجات البلاد، وأدت تلك المحاصيل دورًا مهمًا في التجارة المحلية والدولية. وقد ازدهرت التجارة بين مختلف أنحاء المغرب العربي. أما في الصناعة، فامتازت تونس بإنتاج المنسوجات الجميلة ونحت الرخام والجبس (الجميعي، 2007، ص59).

تاسعًا: مظاهر الحياة الاجتماعية والعلمية والثقافية في تونس خلال الحكم العثماني

خلال العصر العثماني، شهدت تونس تطورًا تعليميًا وثقافيًا مماثلًا لما سبقه. وتمّ التركيز على علوم القرآن، والفقه، والسنة، والتنبؤ، والأدب، والنحو، والصرف، وكان لمسجد الزيتونة دورٌ بارزٌ في هذا الصدد. وشهدت تلك الحقبة محدوديةً في تنقل العلماء من مختلف المناطق. واستمرّ نظام التعليم القرآني التقليدي (الكتاب) رائجًا، إذ كان الطلاب يتلقّون دروسًا في الدراسات الدينية، والنحو، واللغة العربية. فضلًا عن ذلك، أنشأ الحفصيون العديد من المؤسسات التعليمية في تونس، والتي أسهمت في إحياء المذهب المالكي. ومن أبرز علماء تونس في تلك الحقبة الشيخ محمد بن أبي الفضل خروف الأنصاري التونسي، ومحمد بن سلامة، خطيب مسجد الزيتونة في تونس (الجميعي، 2007، ص60). أما الاحوال الاجتماعية في تونس فتمثلت اساسًا في الوضعية الصحية والحالة المعيشية، فقد مرت تونس لحقب متعاقبة من الانكماش الديموغرافي الذي صاحبة انتشار الامراض وحدوث المجاعات وانخفاض مستوى المعيشة، مما كان له أثر سلبي على النمو والتوسع العمراني والرخاء الاقتصادي، اما عدد سكان تونس فكان ما بين 1200000-15000000 نسمه قبل الاحتلال الفرنسي(سعيدوني، 2010م، ص45-51).

Vol 13, Issue 43, Feb 2026
P-ISSN: 2413-1326
E-ISSN: 2708-602X

الخاتمة:

ضعفت الدولة الحفصية نتيجة الصراع بين امرائها على العرش، وقد استنتج بعضهم الاسبان والبعض الاخر العثمانيين الذين جاؤوا الى تونس كرد فعل على التدخل الاسباني فيها، وعندما برز العثمانيون في المنطقة كان السلطان الحسن الحفصي على رأس الحكم في تونس منذ عام1526م، وقد قتل هذا السلطان جميع اخوته بعد توليه الحكم ولم ينجِ منهم إلا الرشيد وعبد المؤمن اللذان نجحا في اللجوء الى القبائل العربية والاختباء عندها ، وكان الحسن الحفصي مغرمًا بالشرب، وكان يتصف بسوء الخلق والظلم والغدر، فقد كرهه الاهالي وسعوا للتخلص منه، وتعاون الحسن الحفصي مع الاسبان، وكلف شارل الخامس قواته بوضع الخطط العسكرية للاستيلاء على تونس واستعادة التحكم في المواصلات البحرية في البحر المتوسط، وبعد أن دخل الحسن الحفصي مدينة تونس اباح البلاد بعمليات السلب والنهب والانتقام لمدة ثلاثة ايام، وقد وقع الحسن الحفصي مع شارل الخامس معاهدة أوت 1535م، تخلى فيها عن حلق الوادي، وقرطاجنة وبنزرات ،والمهدية للإسبان ، ومنحهم حق الاقامة، وبذلك اصبحت المدن التونسية تحت السيادة الاسبانية المطلقة، واستغل الاسبان الفرصة للانتصاب والتمركز في السواحل الشرقية التونسية على اثر حملة شارل الخامس عام 1535م، التي تراجع على اثرها خير الدين الى مواقع بالجزائر، واستعاد الحفصيين حكمهم لكن تحت الحماية للإسبانية، اما معاهدة اوت 1535م فحولت البلاد الى شبه مستعمرة اسبانية، وقد تمكن علج علي من انهاء الحكم الحفصي.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر العربية

1. السيد، محمود (2000). تاريخ دول المغرب العربي. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة للنشر.
2. عبد، عاطف. (1999). موسوعة قصة وتاريخ الحضارات العربية (الجزء 21: تونس والجزائر). بيروت: دار النشر.
3. الجميعي، عبد المنعم. (2007). الدولة العثمانية والمغرب العربي. القاهرة: دار الفكر العربي للنشر.
4. بيات، فاضل. (2007). الدولة العثمانية في المجال العربي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
5. شاكر، محمود. (2000). التاريخ الإسلامي في العهد العثماني. بيروت: المكتب الإسلامي للنشر.
6. العقاد، صلاح. (1953). المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر (الطبعة السادسة). القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
7. اينالجيك، خليل. (2002). تاريخ الدولة العثمانية: من النشوء إلى الانحدار (ترجمة محمود محمد الأرناؤوط). بيروت: دار المدار الإسلامي.
8. الأرقش، دلندة، وآخرون. (2003). المغرب العربي الحديث من خلال مصادر. تونس: مركز النشر الجامعي – ميديا كوم.
9. أفندي، بجوى إبراهيم. (2015). التاريخ السياسي والعسكري للدولة العثمانية (المجلد الأول، ترجمة ناصر عبد الرحيم حسين). القاهرة: المركز القومي للترجمة.
10. الجمل، شوقي عطا الله. (1977). المغرب العربي الكبير في العصر الحديث. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية للطباعة والنشر.
11. باشا، جودت أحمد. (1900). تاريخ الدولة العثمانية (الجزء الثامن). إسطنبول: جودت.
12. وني، ناصر الدين سعد. (2010). الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العربي. الكويت: دار النشر.
13. ابن أبي الضياف، أحمد. (1977). إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان (الجزء الثاني، الطبعة الثانية). تونس: الدار التونسية للنشر.
14. ابن أبي دينار. (1869). المؤنس في أخبار إفريقية وتونس. تونس: مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية.
15. البشروش، توفيق. (1992). جمهورية الدايات في تونس. (1591–1675) تونس: شركة أوريس.
16. مقديش، محمود. (1988). نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار (المجلد الأول، الطبعة الأولى). بيروت: دار الغرب الإسلامي.
17. المسعودي، محمد الباجي. (1905). الخلاصة النقية في أمراء إفريقية (الطبعة الثانية، تحقيق عبد العزيز المسعودي). تونس: مطبعة بيكار وشركائه.

ثانيًا: المقالات العلمية (دوريات)

18. العايبي، محمد بن موسى، وموسى، موسى. (2024). الدايات في تونس العثمانية: تاريخهم وأبرز إنجازاتهم السياسية والعسكرية. (1591–1705) مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة الوادي 0
19. قاسم، أحمد. (2004). إيالة تونس العثمانية على ضوء فتاوى ابن عظوم. (1574–1600) تونس: منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات.

ثالثًا: المصادر الإلكترونية (شبكة المعلومات الدولية)

20. الحفصي، محمد بن الحسن. (بدون تاريخ). محمد بن الحسن الحفصي: آخر السلاطين الحفصيين .المعرفة. https://www.marefa.org

21. الشابي، عرفة. (دون تاريخ). القوة الشابية: النشأة والتطور .Chebbi Culture . https://www.chebbi-culture.com

List of sources and references:

First: Books

1. Al-Sayyid, Mahmoud. (2000). History of the States of the Arab Maghreb. Alexandria: Shabab Al-Jami‘a Publishing Foundation.
2. Abd, Atef. (1999). Encyclopedia of the Story and History of Arab Civilizations (Vol. 21: Tunisia and Algeria). Beirut: Dar Al-Nashr.
3. **Note:** The years 1998–1999 were mentioned; the later publication year was adopted in accordance with APA standards.
4. Al-Jumai‘i, Abdel-Monem. (2007). The Ottoman State and the Arab Maghreb. Cairo: Dar Al-Fikr Al-Arabi for Publishing.
5. Bayat, Fadel. (2007). The Ottoman State in the Arab Sphere. Beirut: Center for Arab Unity Studies.
6. Shaker, Mahmoud. (2000). Islamic History during the Ottoman Era. Beirut: Al-Maktab Al-Islami for Publishing.
7. Al-Aqqad, Salah. (1953). The Arab Maghreb in Modern and Contemporary History (6th ed.). Cairo: Anglo-Egyptian Bookshop.
8. Inalcik, Halil. (2002). History of the Ottoman Empire: From Rise to Decline (Translated by Mahmoud Mohammed Al-Arnout). Beirut: Dar Al-Madar Al-Islami.
9. Al-Arqash, Dalinda, et al. (2003). Modern Arab Maghreb through Sources. Tunis: University Publishing Center – Media Com.
10. Afandi, Bajwa Ibrahim. (2015). The Political and Military History of the Ottoman State (Vol. 1, Translated by Nasser Abdel Rahim Hussein). Cairo: National Center for Translation.
11. Al-Jamal, Shawqi Atta Allah. (1977). The Greater Arab Maghreb in the Modern Era. Cairo: Anglo-Egyptian Library for Printing and Publishing.
12. Pasha, Ahmed Cevdet. (1900). History of the Ottoman State (Vol. 8). Istanbul: Cevdet.
13. **Note:** The Hijri year (1317 AH) was converted to the commonly used Gregorian year for academic cataloging.
14. Wani, Nasser Al-Din Saad. (2010). The Economic, Social, and Cultural Conditions of the Arab Maghreb Provinces. Kuwait: Dar Al-Nashr.
15. Ibn Abi Al-Diyaf, Ahmed. (1977). Ithaf Ahl Al-Zaman bi Akhbar Muluk Tunis wa ‘Ahd Al-Aman (Vol. 2, 2nd ed.). Tunis: Tunisian Publishing House.
16. Ibn Abi Dinar. (1869). Al-Mu’nis fi Akhbar Ifriqiya wa Tunis. Tunis: State Printing Press of the Protected Capital.
17. Al-Bashrush, Tawfiq. (1992). The Republic of the Deys in Tunisia (1591–1675). Tunis: Ores Company.
18. Maqdish, Mahmoud. (1988). Nuzhat Al-Anzar fi ‘Aja’ib Al-Tawarikh wa Al-Akhbar (Vol. 1, 1st ed.). Beirut: Dar Al-Gharb Al-Islami.

19. Al-Mas‘udi, Muhammad Al-Baji. (1905). Al-Khulasa Al-Naqiyya fi Umara’ Ifriqiya (2nd ed., Edited by Abdel Aziz Al-Mas‘udi). Tunis: Beccar and Partners Printing House.

Second: Scientific Articles (Journals)

20. Al-Ayyabi, Mohammed Bin Moussa, & Moussa, Moussa. (2024). The deys in Ottoman Tunisia: Their history and major political and military achievements (1591–1705). Al-Ma‘arif Journal for Historical Research and Studies, University of El-Oued, 1(2).

21. Qasim, Ahmed. (2004). The Ottoman Eyalet of Tunisia in Light of Ibn ‘Azum’s Fatwas (1574–1600). Tunis: Temimi Foundation for Scientific Research and Information Publications.

Third: Electronic Sources (Internet)

22. Al-Hafsi, Muhammad Bin Al-Hassan. (n.d.). Muhammad Bin Al-Hassan Al-Hafsi: The last of the Hafsid sultans. Al-Ma‘rifa. https://www.marefa.org

23. Al-Shabbi, Arefa. (n.d.). The Shabbi Power: Origin and development. Chebbi Culture. https://www.chebbi-culture.com

Vol 13, Issue 43, Feb 2026
P-ISSN: 2413-1326
E-ISSN: 2708-602X